الفصل الخامس

النبي موسى في نهاية المطاف

الأرض المقدسة

نهاية النبي هارون عليه السلام

انتهاء العلاقة بين النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل

ماذا قيل في موت النبي موسى عليه السلام؟

obeikandl.com

obeikandl.com

النبي موسى عليه السلام في نهاية المطاف

ورد في القرآن الكريم ست آيات في سورة المائدة ترتبط بالنبي موسى عليه السلام وكذلك ببني إسرائيل وبحدث محدد. هذه الآيات هي من الآية 21 ـ 26.

يقول تعالى فيها: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۗ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة المائدة: 21 ـ 26).

يرى بعض الدارسين والمفسرين أن الأرض المقدسة هي أرض بيت المقدس. ويرى آخرون أنها أرض أريحا وما حولها. وبعضهم قال إن القصة في مجملها امتحان لبني إسرائيل.

لم يرد اسم الأرض المقدسة إلا في هذا الموضع من القرآن الكريم فإذا كان المقصود أرض بيت المقدس فإن آيات أخريات سمت هذه الأرض بالأرض المباركة وقد ورد ذلك في قوله: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء: 71).

بينما ورد ذكر التقديس في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (سورة طه: 12).

تشير روايات المؤرخين ومنهم الطبري وكذلك ابن الأثير إلى أن المقصود بالأرض المقدسة هي أرض أريحا وكان فيها قوم جبارون حسب روايات الإسرائيليات، ولماذا لا تكون الأرض المقدسة في سيناء؟ لأن فيها نزل الوحي على

النبي موسى وكذلك نزلت الألواح لماذا لا يكون جبل طور سيناء هو المقصود بالتقديس؟

على أي حال فلنا وقفة مع ما ورد في بعض كتب التاريخ لنرى كم دخلت روايات الإسرائيليات إليها وكم نرى من التناقضات حول حقيقة الأرض المقدسة.

يقول ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ:

وقال آخرون: إن موسى عاش حتى خرج من التيه وسار إلى مدينة الجبارين وعلى مقدمته يشوع بن نون ففتحها وهو قول ابن إسحق. قال ابن إسحق: سار موسى بن عمران إلى أرض كنعان لقتال الجبارين فقدم يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا وهو صهره على أخته مريم بنت عمران. فلما بلغوها اجتمع الجبارون إلى بلعم ابن باعور وهو من ولد لوط فقالوا له إن موسى جاء ليقتلنا ويخرجنا من ديارنا فادع الله عليهم. وكان بلعم يعرف اسم الله الأعظم فقال لهم: كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة. فراجعوه في ذلك وهو يمتنع عليهم. فأتوا امرأته وأهدوا لها هدية فقبلتها وطلبوا إليها أن تحسّن لزوجها أن يدعو على نبي الله. فقالت له في ذلك فامتنع، فلم تزل به حتى قال: أستخير الله. فاستخار الله تعالى فنهاه في المنام فأخبرها بذلك فقالت: راجع ربك فعاود الاستخارة فلم يرد إليه جواب فقالت: لو أراد ربك لنهاك. ولم تزل تخدعه حتى أجابهم فركب حماراً له متوجهاً إلى جبل مشرف على بني إسرائيل ليقف عليه ويدعو على بني إسرائيل. فما سار عليه إلا قليلاً حتى ربض الحمار فنزل عنه وضربه حتى قام فركبه فسار به قليلاً فبرك. فعل ذلك ثلاث مرات فلما اشتد ضربه في الثالثة أنطقه الله فقال له: ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردني فلم يرجع فأطلق الله الحمارَ حينئذٍ فسار عليه حتى أشرف على بني إسرائيل فكان كلما أراد أن يدعو عليهم ينصرف لسانه إلى الدعاء لهم وإذا أراد أن يدعو لقومه انقلب دعاؤه عليهم فقالوا له في ذلك. فقال: هذا شيء غلبنا الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره. فقال: الآن قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق غير المكر والحيلة وأمرهم أن يزيّنوا نساءهم ويعطوهن السلع للبيع ويرسلوهن

إلى العسكر ولا تمنع امرأة نفسها ممن يريدها. وقال: إن زنى منهم رجل واحد كُفيتموهم ففعلوا ذلك. ودخل النساء عسكر بني إسرائيل فأخذ زمري بن شالوم وهو رأس سبط شمعون بن يعقوب امرأة وأتى بها موسى فقال له: أظنك تقول هذا حرام فوالله لا نطيعك، ثم أدخلها خيمته فوقع عليها فأنزل الله عليهم الطاعون وكان فنحاص بن إليعازر بن هارون صاحب أمر عمه موسى غائباً فلما جاء رأى الطاعون قد استقر في بني إسرائيل وأخبر الخبر وكان ذا قوة وبطش فقصد زمري فرآه وهو مضاجع المرأة فطعنهما بحربة في يده فانتظمهما ورفع الطاعون.

ثم إن موسى قدم يشوع إلى أريحا في بني إسرائيل فدخلها وقتل بها الجبارين وبقيت منهم بقية وقد قاربت الشمس الغروب فخشي أن يدركهم الليل فيعجزوه فدعا الله تعالى أن يحبس عليهم الشمس ففعل وحبسها حتى استأصلهم ودخلها موسى وأقام بها ما شاء الله أن يقيم وقبضه الله إليه ولا يعلم بقبره أحد من الخلق)[1].

هذه رواية ابن الأثير عن ابن إسحق. وهي رواية إسرائيلية مائة بالمائة فهي تحوي من التناقضات ما يثير العقل ويخالف الجغرافية والتاريخ ويخالف آيات القرآن الكريم.

1 ـ فقوله إن موسى سار إلى مدينة الجبارين. يناقض قول الله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾.

فقد حرمت عليهم بمن فيهم موسى وظلوا تائهين في الصحراء كما حكم الله عليهم أربعين سنة.

وهناك رأي يقول إن بني إسرائيل تشتتوا بقضاء الله سبحانه وتاهوا في الأرض وتوزعوا ولم تعرف قبيلة مصير القبيلة الأخرى.

وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: إن موسى وهارون توفيا في التيه وتُوفي فيه كل من دخله. وقد جاوز العشرين سنة.

---

(1) ابن الأثير/ الكامل في التاريخ/ الجزء 1/ ص 201 ـ 202.

2 ـ ظاهر الآيات القرآنية أن تلك الأرض كان فيها قوم جبارون. وأريحا لم يكن فيها قوم جبارون ولكن التفسيرات التوراتية وخاصة ما جاء في التوراة تحاول أن تضخم أعداء اليهود لتقول إنهم أقوى من هؤلاء الجبارين بل وتغلبوا عليهم. وفي النص القرآني يظهر جُبن بني إسرائيل ورفضهم لأمر نبيهم موسى عليه السلام وقد حاول معهم عدة مرات، وأخيراً قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون.

وهذه الآية تنفي نفياً قاطعاً دخول موسى عليه السلام وبني إسرائيل إلى تلك الأرض ثم إن الجُبن الذي سيطر عليهم لن يؤهلهم أن يتبعوا يشوع في حروبه المتوهّمة وفي سفر يشوع وهو السفر السادس من التوراة العبرانية ملاحم أسطورية غريبة يصور كاتب التوراة فيها ما لم يتصوره عقل ولا تاريخ. وإنما هو من نسج خياله وأمنياته. وقد أكد علم الآثار أن أريحا لم تتعرض لهجوم من قبل هؤلاء ولم تنهدّ أسوارها كما تزعم التوراة.

3 ـ يورد نص ابن الأثير المنقول عن ابن إسحق أن رجلاً اسمه بلعم بن باعور وهو من ولد لوط كان متزعماً على هؤلاء الجبارين.

فمن أين جاءت هذه الرواية؟ مع العلم أن الله سبحانه أباد قوم لوط ولم يبق معه إلا ثلة قليلة من أهله ودون امرأته التي خانته فمحقها الله وأحرقها.

وإذا كانت الرواية هذه صحيحة فإن هذا الرجل المدعو بلعم بن باعور كان يعرف اسم الله الأعظم ويقول كيف أدعو على نبي الله والمؤمنين ومعهم الملائكة؟ إذاً لم يكن هذا الرجل جباراً بل هو مؤمن بالله وبرسالة النبي موسى ومؤمن بالملائكة، إذاً لماذا يقاتله موسى وهو نبي لا يدعو إلى القتل؟ حتى أن اسم بلعم بن باعور هو اسم عبراني ولا ندري كيف أقحم هذا الاسم على هذه الرواية.

والغريب في الرواية أن هذا بلعم يصف أصحاب موسى بالمؤمنين، وهم لم يكونوا كذلك؛ لأنهم حسب النص القرآني تمردوا على نبيّهم ورفضوا أوامره حين طلب منهم الدخول إلى تلك الأرض المقدسة.

ثم في الرواية نفسها تناقض صارخ، فإذا كان بنو إسرائيل مؤمنين كما وصفهم هذا الرجل المدعو بلعم بن باعور فلماذا عندما قال راوي القصة إن نساء أريحا ذهبن إلى جيش بني إسرائيل لأجل الإيقاع بهم وفعلاً حسب الرواية وقعوا في شر المنكرات وزنوا. فهل يكون هؤلاء مؤمنين ويقومون بهذه الفاحشة؟

ثم تقول الرواية إن الطاعون حل بقوم موسى. فماذا فعل بهم هذا المرض؟

ثم تقول الرواية إن موسى عليه السلام دعا ربه أن يوقف الشمس ويؤخر غروبها فتأخر الغروب ساعة. فما هذه الأسطورة وهذه الخرافة. الشمس بحجمها وقوة حرارتها تتوقف عن المسير لمدة ساعة. ماذا حل بالكون بسبب هذا التوقف ماذا حل بالأرض، بالكواكب، بالنجوم. هل ظلت على مسارها؟ ألم تصطدم بالشمس، ألم تصطدم مع بعضها، ماذا حل بالنبات بالإنسان بالحيوان بكل المخلوقات؟

إن تلك الرواية ما هي إلا من الأساطير المسروقة من أساطير الشعوب الأخرى. أراد كاتب التوراة ورواة الإسرائيليات أن يضخموا الأحداث ويضفوا عليها حساً أسطورياً معجزاً خارقاً لنواميس البشر.

هذه رواية ابن الأثير المنقولة عن ابن إسحق. وما أكثر الإسرائيليات التي نقلها ابن إسحق وهي في غالبيتها مرويات إسرائيلية تخالف القرآن كلياً وتخالف منطق العقل والتاريخ والجغرافيا.

وننقل الرواية الأخرى وهي رواية الطبري. فهي في أسطورتها أكثر إضحاكاً وأكثر غرابة.

فلما تمرد بنو إسرائيل ورفضوا دعوة النبي موسى غضب منهم ودعا عليهم وقال: فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين..

يقول الطبري: وكانت عجلة من موسى عجلها، فقال الله: (فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض). فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى، وأتاه قومه الذين كانوا معه يطيعونه فقالوا له: ما صنعت بنا يا موسى؟ فلما ندم أوحى الله عز وجل إليه أن لا تأسَ، أي لا تحزن على القوم الذين سميتهم فاسقين. فلم يحزن فقالوا: يا موسى فكيف لنا بماء هاهنا أين الطعام؟ فأنزل الله عليهم المن والسلوى...

فلما خرجوا من التيه رُفع المن والسلوى وأكلوا البقول والتقى موسى وعاج (عوج بن عناق) فنزا (ارتفع) موسى في السماء عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب عاج فقتله.

ويورد الطبري: كان سرير عوج ثمانمئة ذراع وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة أما ما يتعلق بأريحا والقوم الجبارين فلينظر القارئ ما أورده الطبري من خرافة لا يقبلها مجنون ولا عاقل ولا مؤمن ولا كافر.

يقول الطبري: (ثم أمرهم بالسير إلى أريحا وهي أرض بيت المقدس حتى إذا كانوا قريباً منها بعث موسى اثني عشر نقيباً من جميع أسباط بني إسرائيل فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عاج (عوج) فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حجزته وعلى رأسه حملة حطب فانطلق بهم إلى امرأته فقال انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون أنهم يريدون أن يقاتلونا فطرحهم بين يديها فقال: ألا أطحنهم برجلي فقالت امرأته: لا بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض: يا قوم إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه وأخبروا نبيَّ الله فيكونان هما يريان رأيهما فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتموه. ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج (عوج) وكتم رجلان منهم فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر.

فليس في الخلق مخلوق يصل طوله كما قالت رواية الطبري، فهل يعقل أن يقبض هذا الجبار على اثني عشر رجلاً ويريد أن يطحنهم برجله أو بقدمه، وهل يعقل أن موسى عليه السلام يقفز عشرة أذرع ليصل إلى كعب رجله فيضربه بالعصا ويقتله؟

ولنر الآن ما جاء على لسان ابن كثير رحمه الله في كتابه البداية والنهاية لندرك صحة ما قاله في الإسرائيليات.

ذكر كثير من المفسرين هاهنا آثاراً فيها مجازفات كثيرة باطلة يدل العقل والنقل على خلافها، من أن أشكال الجبارين كانت هائلة وكانوا ضخاماً جداً حتى إنهم

ذكروا أن رسل بني إسرائيل لما قدموا عليهم تلقاهم رجل من رسل الجبارين فجعل يأخذهم واحداً واحداً ويلفّهم في أكمامه وحجزة سراويله وهم اثنا عشر رجلاً فجاء بهم فنثرهم بين يدي ملك الجبارين. فقال ما هؤلاء ولم يعرف أنهم من بني آدم حتى عرفوه وكل هذه هذيانات وخرافات لا حقيقة لها. وأن الملك بعث معهم عنباً كل عنبة تكفي الرجل وشيئاً من ثمارهم ليعلموا ضخامة أشكالهم وهذا غير صحيح. وذكروا ههنا أن عوج بن عنق خرج من عند الجبارين إلى بني إسرائيل ليهلكهم وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين. وهذا غير صحيح، وهذا كله من الإسرائيليات وكل هذه من وضع جهال بني إسرائيل فإن الأخبار الكاذبة قد كثرت عندهم ولا تميز لهم بين صحتها وباطلها.

ويقول ابن كثير: عوقبوا على نكولهم بالتيهان في الأرض يسيرون إلى غير مقصد ليلاً ونهاراً وصباحاً ومساءً. ويقال إنه لم يخرج أحد من التيه ممن دخله بل ماتوا كلهم في مدة أربعين سنة)[1].

ويقول ابن كثير في لفتة مهمة: ولم أر في كتاب أهل الكتاب قصة نكولهم عن قتال الجبارين. ولفتة ابن كثير مهمة جداً إذ أنها تؤكد أن كاتب التوراة لم يرد أن يبين جُبن هؤلاء وارتدادهم، بل تمادى في قوله إن يوشع بن نون حاصر أريحا ودار حولها سبعة أشواط ثم نودي بالبوق فسقطت أسوارها ودخلها يشوع حسب نص التوراة وأجرى فيها مذبحة هائلة على زعم التوراة، ولكن الحقيقة أن يشوع لم يدخل أريحا وهذا كله من خيالات كاتب التوراة.

حقائق على ضوء الآيات الكريمة:

يقول تعالى: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا

(1) ابن كثير/ البداية والنهاية/ الجزء الأول ص 248 ـ 249.

ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة المائدة: 21 ـ 26).

يبدأ نداء سيدنا موسى عليه السلام لبني إسرائيل بالدخول إلى أرض مقدسة كتبها الله لهم.

ومنذ البداية لا ندري ما هي الأرض المقدسة وأين تقع. لقد قال المفسرون إنها أرض أريحا وكان فيها قوم جبارون. ولكن تحديد الأرض المقدسة بأريحا هي من رواية التوراة والإسرائيليات، فليس هناك مصدر آخر يؤكد أن أريحا هي المقصودة بالتقديس وإذا قيل إن الأرض المقدسة هي ديار بيت المقدس أو فلسطين فإن القرآن الكريم يصف هذه الأرض بالمباركة وليس بالمقدسة.

وإذا افترض بعضهم أنها أرض فلسطين فإن هذه الأرض لم يكن فيها قوم جبارون وإنما كانت فيها عدة أقوام أو قبائل منها قبائل كنعان واليبوسيين والأموريين والجرجاشيين والحثيين وغيرهم ولم يعرف عن هذه القبائل العربية أنها من الجبابرة ومن هنا لا ندري أين هذه الأرض المقدسة التي يسكنها قوم جبارون. هل هي أريحا أم هي في سيناء أم أنها مناطق أخرى في الأردن أو غيرها.

لقد كان نداء النبي موسى امتحاناً لبني إسرائيل. ويبدو أنه الامتحان الأخير قبل وفاة هذا النبي. لقد امتحنهم بالبقرة وبتطبيق التشريع والإيمان بالله الواحد فعبدوا العجل وانحازوا كلياً عن عقيدة التوحيد وبدلوا التشريع حتى يتناسب مع نفسيتهم وظروفها، وميلهم إلى الفساد. وهنا يبرز هذا الامتحان الأخير وهو الدخول إلى أرض مقدسة لكي يقيموا شعائر الله. ولكنهم رفضوا منذ النداء الأول. فقالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فكيف يمكن أن يخرج شعب من أرض ويسلمها لغيره؟ وهذا من المستحيل دينياً

واجتماعياً وعلى كل الوجوه، إن هذا يدل على رعب مسبق دبّ في قلوبهم وهكذا هي الحقيقة حقيقة الجبن والخنوع اللذين تميزوا بهما. وهذا يدل على أن حروب يوشع التي افتعلتها التوراة ما هي إلا أوهام وخيالات وأمنيات افترضها كاتب التوراة.

وأخيراً يتخلى بنو إسرائيل نهائياً عن النبي موسى حين قالوا: (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)، فبعد معاناة وتبليغ داما أكثر من ثمانين سنة هاهم يرفضون نداء موسى عليه السلام.

لذلك لا يمكن أن نعثر على بقية لقصة النبي موسى عليه السلام مع بني إسرائيل بعد هذه الحادثة. ونرى قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (سورة المائدة: 25). إذاً بنو إسرائيل فاسقون وهذه حقيقة. لذلك نرى أن سيرة النبي موسى تنتهي إلى هذا الحد.

إن بعض الآراء التاريخية تقول: إنه في زمن وجود بني إسرائيل في سيناء قدمت غزوة من جزيرة كريت اليونانية بعد صراع بين الإمارات اليونانية آنذاك وحاولت هذه الحملة احتلال أجزاء من شمال مصر ولكنها فشلت فتوجهت بحرياً إلى سواحل فلسطين واستطاعت النزول في غزة وتمركزت فيها. ثم تقول المصادر: إن هذه الحملة أقامت في خمسة مدن فلسطينية ساحلية، منها عسقلان وغزة وإسدود وعقرون ومدينة داخلية اسمها جت.. وكان هؤلاء من متمرسي الحرب. فعندما أراد موسى عليه السلام أن يحث بني إسرائيل للدخول إلى الأرض المقدسة اصطدم بنو إسرائيل بهؤلاء اليونانيين وقارنوا بينهم وبين هؤلاء فأدركوا أن لا طاقة لهم بهم فوصفوهم بالجبارين وخافوا منهم. وهذه كما قلنا إحدى الروايات.

وتقول رواية أخرى: إن الجبارين من العناقيين كانوا يسكنون في الجهة الشمالية الغربية من سيناء، وتشير التوراة إلى اصطدام بينهم وبين بني إسرائيل الذين هربوا باتجاه الجنوب نحو جبل سيناء أي جبل حوريب، ومن الممكن أن النداء كان موجهاً لبني إسرائيل كي يقاتلوا هناك العناقيين.

وهناك رواية تقول: إن موسى عليه السلام طلب من بني إسرائيل الدخول إلى الأرض المقدسة من دون حرب أو صراع، والغاية أن يقدسوا الله ويتعبدوا له وليس القصد طرد السكان أو إجراء المذابح بحقهم واحتلال أراضيهم.

وهناك رواية أخرى تقول إن بعض أطراف فلسطين كان يسكنها أقوام قد ضلوا وعبدوا الأصنام فأراد الله أن ينهزموا ويحل محلهم بني إسرائيل طالما أنهم يعبدون الله ويسيرون على منهج موسى في ظاهر الأمر. ولكن باطن الأمر تبيّن وتبيّن معه أن بني إسرائيل كانوا يتقلبون وينقلبون من عقيدة إلى أخرى ولا يثبتون على مبدأ على الرغم من وجود نبي الله موسى بينهم.

أما قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة المائدة: 26).

توقف المفسرون عند هذه الآية فأقروا بفهمهم أن الله سبحانه حرّم دخول تلك الأرض المقدسة على بني إسرائيل تحريماً أبدياً. وبعض المفسرين قالوا حُرّمت عليهم أربعين سنة حيث ظلوا تائهين في الأرض هذه المدة الزمنية ثم أذن الله لهم بالدخول إلى هذه الأرض.

وتوقف مفسرون آخرون عند قوله تعالى «أربعين سنة يتيهون في الأرض»، بأن الله سبحانه قضى على بني إسرائيل التيه في كل مكان، والواقع لم يعد بينهم نبي يجمعهم. ولم يكونوا على عقيدة التوحيد حتى ينصرهم الله في شؤون حياتهم.

موسى وهارون عليهما السلام ونهاية المطاف

من الطبيعي والبدهي أن كل نبي يؤدي رسالته ويظل في قومه يهديهم حتى النهاية، ومن الطبيعي أن النبي موسى وكذلك النبي هارون تُوفيا وانتقلا إلى جوار ربهما، ونحن لا نعرف بالضبط متى مات النبي موسى عليه السلام لولا بعض الإشارات المستنتجة أولاً، ولولا أحاديث رسول الله ﷺ التي تحدثت بإيجاز عن النبي موسى عليه السلام.

وقد أسهبت كتب التفسير والتاريخ الإسلامي بالحديث عن نهاية النبي موسى وكذلك عن نهاية النبي هارون. وقد ذكرت التوراة بعضاً من هذه النهاية.

يرد في التوراة: «**وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً اصعد إلى جبل عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً. ومتْ في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضُم إلى قومه. لأنكما خنتماني في وسط بني إسرائيل عند ماء مريبة قادش في برية صين إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى هناك إلى الأرض التي أنا أعطيتها لبني إسرائيل**» (تثنية 32: 48 ـ 52).

وهذا النص يوضح أن هارون عليه السلام مات في جبل هور. ولكن نصاً آخر من آخر سفر التثنية يتحدث عن موت موسى عليه السلام بقوله: «**فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم**» (تثنية 34: 5 ـ 6).

وتقول التوراة: «**وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات**» (تثنية 34: 7).

وتقول: «**ولم يقم بعد بني في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه**» (تثنية 34: 10).

هل مات النبي موسى مقتولاً؟

على ضوء النص الذي ذكرنا ومنه قول الله لموسى: (**ومتْ في الجبل**) الذي قبالة أريحا تثار تساؤلات فيما يتعلق بكيفية موت موسى عليه السلام هل مات موتاً طبيعياً أم هل أمر الرب بموته.

استخلص الباحث الألماني سيليين من بعض الفقرات في سفر يشوع أن هناك دلائل بأن موسى مات شهيداً اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم دينية تقريباً. وهناك من يرى أن يشوع بن نون هو الذي اغتال النبي موسى

حيث اصطحبه إلى أعلى الجبل ثم عاد بدونه ليعلن أن الأمر بموت موسى قد تم تنفيذه وفقاً لأمر الرب.

ويقول فرويد إن ما استخلصه سللين من اغتيال موسى على أيدي أتباعه محتمل جداً لأن موسى لابد أن يكون استعمل العنف والقسوة في فرض شعائر دينيةٍ صارمة على أتباعه ولعلها أكثر صرامة من تلك التي فرضها أخناتون على الشعب المصري[1].

ماذا تقول روايات المفسرين والمؤرخين المسلمين؟

جاء في الكامل لابن الأثير:

قيل: بينما موسى عليه السلام يمشي ومعه يوشع بن نون فتاه إذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة فالتزم موسى وقال: لا تقوم الساعة وأنا ملتزم نبيَّ الله، فاستل موسى من تحت القميص وبقي القميص في يدي يوشع. فلما جاء يوشع بالقميص أخذه بنو إسرائيل وقالوا: قتلت نبي الله فقال: ما قتلته ولكنه استُل مني. فلم يصدقوه قال: فإذا لم تصدقوني فأخروني ثلاثة أيام. فوكلوا به من يحفظه فدعا الله فأُتي كل رجل كان يحرسه في المنام فأخبره أن يوشع لم يقتل موسى... وأنا قد رفعناه إلينا، فتركوه.

وقيل: إن موسى كره الموت فأراد الله أن يحبب إليه الموت فأوحى الله إلى يوشع بن نون وكان يغدو عليه ويروح ويقول له موسى: يا نبي الله ما أحدث الله إليك فقال له يوشع بن نون: يا نبي الله لم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله لك. ولا يذكر له شيئاً. فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت. وقيل: إنه مر منفرداً برهط من الملائكة يحفرون قبراً فعرفهم فوقف عليهم فلم ير أحسن منه ولم ير مثل ما فيه من الخضرة والبهجة. فقال لهم: يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد كريم على ربه. فقال: إن هذا العبد له

(1) د أحمد سوسة: العرب واليهود في التاريخ/ ص 236.

منزل كريم ما رأيت مضجعاً ولا مدخلاً مثله فقالوا: أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت قالوا: انزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك وتنفس أسهل تنفّس تتنفسه، فنزل فيه وتوجه إلى ربه فتنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب[1].

وذكر ابن كثير حديثاً من صحيح البخاري قال فيه: حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: أرسل ملك الموت إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه (ضربه) فرجع إلى ربه عز وجل فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا؟ قال: ثم الموت قال: فالآن قال: فسأل الله عز وجل أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال أبو هريرة؛ فقال رسول الله ﷺ: فلو كنت ثمَّ أريكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر.

وفي رواية أخرى لمسلم وأحمد في مسنده. قال: جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال: أجب ربك فلطم موسى عين الملك ففقأه فرجع الملك إلى الله فقال: إنك بعثتني إلى عبد لك لا يريد الموت قال: وقد فقأ عيني قال فرد الله عينه وقال: ارجع إلى عبدي فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك... بقية الحديث. وقد تفرد به أحمد وهو موقوف بهذا اللفظ وقد رواه ابن حبان في صحيحه وقد أجاب عنه بما حاصله أن ملك الموت لما قال له هذا لم يعرفه لمجيئه له على غير صورة شاب فلم يعرفهم إبراهيم ولا لوط أولاً، وكذلك موسى لم يعرفه لذلك لطمه ففقأ عينه لأنه دخل داره بغير إذنه.

وقال السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناسٍ من الصحابة قالوا ثم إن الله تعالى أوحى إلى موسى أني متوفٍ هارون فأت به إلى جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو ذلك الجبل فإذا هم بشجرة لم ير شجرة مثلها وإذا هم ببيت مبني وإذا هم بسرير عليه فرش وإذا فيه

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ/ المجلد الأول ص 198.

ريح طيبة فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه قال: يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال له موسى: فنم قال: يا موسى نم معي فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعاً. فلما ناما أخذ هارون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتني. قال فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به إلى السماء. فلما رجع موسى إلى قومه وليس معه هارون وكان في موسى بعض الغلظة عليهم، قالوا فإن موسى قتل هارون وحسده حبّ بني إسرائيل له وكان هارون أكف عنهم وألين لهم من موسى. فلما بلغه ذلك قال لهم: ويحكم كان أخي أفتروني أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه بين السماء والأرض)[1].

(1) ابن كثير: البداية والنهاية المجلد الأول ص 171 ـ 172.

obeikandl.com